الجزء الثانى

obeikandl.com

obeikandl.com

الآفة الثامنة
الرياء أو السمعة

والآفة الثامنة التى يبتلى بها بعض العاملين، والتى تعدّ من أخطر الآفات وأشدّها فتكا بهم، وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم فورا للتخلّص والتطهّر منها وإلا ضل سعيهم فى الدنيا والآخرة ، إنما هى: « الرّياء أو السمعة ».

ولكى يكون لدينا تصوّر واضح، أو قريب من الواضح عن هذه الآفة، وآثارها، وسبيل الخلاص منها ، فإننا سنتناولها على النحو التالى :

أولا : مفهوم الرياء أوالسمعة :

الرياء والسمعة لغة : الرياء فى اللغة مشتق من الرؤية، تقول: أرأى الرجل: إذا أظهر عملا صالحًا ليراه الناس ، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ [الماعون]، ﴿ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [الأنفال : ٤٧] .

والسمعة مشتقّة من سمّع ، تقول : سمّع الناس بعمله، أى أظهره لهم بعد أن كان سرا [١] .

الرياء والسمعة اصطلاحا : أما مفهوم الرِّياء والسمعة فى اصطلاح الدعاة ، وعلماء السلوك والأخلاق: فهو إطلاع المسلم الناس على ما يصدر منه من الصالحات طلبا للمنزلة والمكانة عندهم ، أو طمعا فى دنياهم ، فإن وقعت أمامهم ورأوها فذلك هو الرياء وإن لم تقع أمامهم لكنّه حدّثهم بها ، فتلك هى السمعة [٢] ، وفرّق العلامة عز الدين بن عبد السلام بين الرياء والسمعة قائلا :

« الرياء : أن يعمل لغير اللّه ، والسمعة : أن يخفى عمله للّه ، ثم يحدث به الناس »[٣] ، وكأنه يرى أن الرياء كلّه مذموم ، أما السمعة فقد تكون مذمومة إذا قصد

---

(١) لسان العرب ٨/ ١٦٥ ، ١٤/ ٢٩٦ بتصرف .

(٢) انظر : فتح البارى لابن حجر ١١/ ٣٣٦ بتصرف .

(٣) كلام العز بن عبد السلام هذا أورده ابن حجر فى الفتح ١١/ ٣٣٦ .

بالحديث عن عمله وجه الناس، ومحمودة إذا قصد بذلك وجه اللّه، وابتغاء مرضاته، وذلك الذى قاله ابن عبد السلام هو ما تصدقه النصوص الشرعية ، إذ يقول اللّه ـ عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾

[البقرة : ٢٦٤]

وإذ يقول الرسول ﷺ : « من سمّع سمّع اللّه به، ومن يرائى يرائى اللّه به»(١)، « إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه ؟ قال: « الرّياء، يقول اللّه ـ عز وجلّ ـ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذى كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا: هل تجدون عندهم الجزاء ؟ »(٢) .

وإذ يسمع الرسول ﷺ رجلا يقرأ ويرفع صوته بالذكر ، فيقول : « إنه أوّاب» فإذا هو المقداد بن الأسود (٣) .

ثانيا : أسباب الرّياء أو السمعة :

هذا وللرياء أو السمعة أسباب أو بواعث توقع فيه وتؤدى إليه: نذكر منها :

١ـ النشأة الأولى :

إذ قد ينشأ الولد فى أحضان بيت دأبه وديدنه الرياء أو السمعة ، فما يكون منه إلا التقليد والمحاكاة ، وبمرور الزمن تتأصل هذه الآفة فى نفسه ، وتصبح وكأنما هى جزء لا يتجزأ من شخصيته .

ولعلّ هذا هو السر فى وصية الإسلام بأن يكون الدين هو أساس اقتران الرجل بالمرأة ، إذ يقول ﷺ : « فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٤) ، و« إذا أتاكم من

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرقاق : باب الرياء والسمعة ٨/ ١٣٠ ، من حديث جندب ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد : باب من أشرك فى عمله غير اللّه ٤/ ٢٢٨٩ رقم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس ، واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٥/ ٤٢٨ ، ٤٢٩ من حديث محمود بن لبيد به ، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد : كتاب الإيمان : باب ما جاء فى الرياء ١/ ١٠٧ ، وعقب عليه بقوله : « رجاله رجال الصحيح » .

(٣) الحديث أورده ابن حجر فى: الفتح ١١/ ٣٣٧ من رواية ثابت عن أنس مرفوعا به، وعزاه إلى الطبرى .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى السنن : كتاب النكاح : باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين ٢/ ٢١٩ رقم (٢٠٤٧) من حديث أبى هريرة مرفوعاً به، والترمذى فى: السنن : كتاب النكاح : باب ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث خصال ٣/ ٣٩٦ رقم (١٠٨٦) من حديث جابر بنحوه ، وعقب عليه بقوله : « حديث جابر حسن صحيح » ، وابن ماجه فى: السنن: كتاب النكاح: باب تزويج ذات الدين ١/ ٥٩٧ رقم (١٨٥٨) من حديث أبى هريرة مرفوعا به، والدارمى فى السنن: كتاب النكاح: باب تنكح المرأة على أربع ٢/ ١٣٣، ١٣٤ من حديث أبى هريرة وجابر بن عبد اللّه ﷺ مرفوعا به وبنحوه .

ترضون خلقه ودينه فزوّجوه » (١) .

٢ـ الصحبة أو الرفقة السيئة :

وقد تحتويه صحبة أو رفقة سيئة لا همّ لها إلا الرياء أو السمعة ، فيقلدهم ويحاكيهم لاسيّما إذا كان ضعيف الشخصية، شديد التأثر بغيره، وبتوالى الأيام يتمكن هذا الداء من نفسه ، ويطبعها بطابعه ، وذلك هو سرّ ما قدمناه فيما مرّ من آفات ، من ضرورة أن تكون الصحبة طيبة ، تحترم شرع الله وتعمل به .

٣ـ عدم المعرفة الحقيقية بالله ـ عزّ وجلّ :

وقد يكون عدم المعرفة الحقيقية باللّه ـ عزّ وجلّ ـ هو السبب أو الباعث على الرياء أو السمعة . . . إذ أن الجهل باللّه أو نقصان المعرفة به يؤدى إلى عدم تقديره حق قدره، ومن ثمَّ يظن هذا الجاهل باللّه الذى لم يعرفه حق المعرفة، ولم يقدّره حقّ قدره أنّ العباد يملكون شيئًا من الضرّ أو النفع، فيحرص على مراءاتهم وتسميعهم كل ما يصدر عنه من الصالحات ، ليمنحوه شيئا مما يتصوّر أنّهم مالكوه .

ولعلّ ذلك هو السرّ فى دعوة الإسلام إلى المعرفة باللّه أولا : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه** ﴾ [محمد : ١٩] بل وتطبيقه ذلك ، حيث دار القرآن المكى، وعمل الرسول ﷺ طوال المرحلة المكية حول التعريف بأصول العقيدة، وتأكيدها وترسيخها فى النفس.

٤ـ الرغبة فى الصدارة أو المنصب :

وقد تدفع الرغبة فى الصدارة أو فى المنصب إلى الرياء أو السمعة ، حتى يثق به من بيدهم هذا الأمر ، فيجعلوه فى الصدارة ، أو يبوئوه المنصب.

ولعلّ ذلك هو السرّ فى تأكيد الإسلام على اختيار أو ابتلاء الناس قبل الوثوق بهم أو الركون إليهم، لاسيما إذا كانوا على حال تدعو إلى ذلك، إذ يقول اللّه ـ عزّ وجلّ: ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ [النساء : ٦]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾ [الممتحنة : ١٠] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب النكاح : باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ٣/ ٣٩٥ رقم (١٠٨٥) من حديث أبى عبد الرحمن المزنىّ مرفوعا به، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسنٌ غريب، وأبو حاتم المزنى له صحبة، ولا نعرف له عن النبى ﷺ غير هذا الحديث » .

٥ـ الطمع فيما فى أيدى الناس :

وقد يحمله الطمع فيما فى أيدى الناس ، والحرص على الدنيا على الرياء أو السمعة ، ليثق به الناس وترقّ قلوبهم له ، فيعطونه ما يملأ جيبه ، ويشبع بطنه .

وفى سؤال الأعرابى للنبى ﷺ : والرجل يقاتل للمغنم . . .[١] ، وكذلك فى قوله ﷺ فى الحديث الآخر: « من غزا لا يبغى إلا عقالاً فله ما نوى »[٢] ما يشير إلى هذا السبب .

٦ـ إشباع غريزة حبّ المحمدة أو الثناء من الناس :

وقد يدعوه حب المحمدة أو الثناء من الناس إلى الرياء أو السمعة ، حتى يكون حديث كلّ لسان ، وذكر كلّ مجلس، فتنتفش نفسه وتنتفخ بذلك ـ والعياذ باللّه .

وإلى هذا السبب يشير بقية الحديث المتقدم: . . . والرجل يقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه ، من فى سبيل اللّه ؟

٧ـ شدّة ذوى المسئولية فى المحاسبة :

وقد تكون شدّة ذوى المسئولية فى المحاسبة هى السبب فى الرياء أو السمعة لاسيما إذا كان هناك ضعف فى الإرادة وفتور فى العزيمة، وكأنه يحاول بهذا الرياء أو بهذه السمعة ستر ضعفه وفتوره .

وصدق رسول اللّه الذى لا ينطق عن الهوى ؛ إذ يقول لعائشة :« إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه »[٣] .

---

(١) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الخمس : باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره ٤ / ١٠٥ من حديث أبى موسى قال : قال أعرابى للنبى ﷺ : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، ويقاتل ليرى مكانه ، من فى سبيل اللّه ؟ فقال:« من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا فهو فى سبيل اللّه »، ومسلم فى :الصحيح : كتاب الإمارة : باب من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا فهو فى سبيل اللّه٣/ ١٥١٢ ، ١٥١٣ رقم (١٩٠٤) وما بعده بنحو رواية البخارى .

(٢) الحديث أخرجه النسائى فى: السنن : كتاب الجهاد : باب من غزا فى سبيل اللّه ولم ينو من غزاته إلا عقالا ٦ / ٢٤ ، ٢٥ رقم (٣١٣٨) من حديث عبادة بن الصامت أن رسول اللّه ﷺ قال: « من غزا وهو لا يريد إلا عقالا فله ما نوى » ،والدارمى فى: السنن : كتاب الجهاد: باب من غزا ينوى شيئا فله ما نوى ٢/ ٢٠٨ بنحوه ، وأحمد فى: المسند ٥/ ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٩ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح:كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل الرفق ٤/ ٢٠٠٤ رقم (٢٥٩٤)، وأبو داود فى: السنن:كتاب الجهاد: باب ما جاء فى الهجرة وسكنى البدو ٣/ ٣ رقم (٢٤٧٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا به .

٨ ـ إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال :

وقد يكون إظهار الآخرين إعجابهم به ، وبما يصدر عنه من أعمال ، هو الباعث على الرياء أو السمعة ، كى يكون هناك مزيد من هذا الإعجاب .

وحتى يحمى الإسلام البشر من هذا الداء ، منع إبراز هذا الإعجاب ، فإن كان ولابد فليكن معه الاحتراز والحيطة بأن يقول: « أحسب فلانا كذا ، واللّه حسيبه ، ولا أزكى على اللّه أحداً » (١) .

٩ـ الخوف من قالة الناس لاسيّما الأقران :

وقد يكون الخوف من قالة الناس ، لاسيما الأقران هو الباعث على الرياء أو السمعة، حتى يظهر أمامهم بالصورة التى ترضيهم، وتسكت ألسنتهم عنه، وإذا ما خلا بنفسه انتهك محارم اللّه : ﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا** ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء] .

١٠ـ الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة :

وأخيرًا قد يكون الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة ، هى السبب فى مراءاة الناس أو تسميعهم ، فإن من جهل أو غفل عن عاقبة شىء ما ـ لاسيّما إذا كانت هذه العاقبة ضارة ـ تعاطى هذا الشىء ولازمه حتى يصير خلقا له .

ثالثا : سمات أو علامات الرياء أو السمعة :

وحتى يدرك المسلم موقعه من الرياء أو السمعة، فإن هناك سمات أو علامات يعرف بها ، وهذه السمات أو تلك العلامات هى :

١ـ النشاط فى العمل ومضاعفة الجهد ، إذا كان هناك ثناء أو مدح ، والكسل والتقصير إذا كان هناك عيب أو ذم .

٢ـ النشاط فى العمل ومضاعفة الجهد إذا كان مع الناس ، والكسل والتقصير حال التفرّد أو البعد عن الناس ، وإلى هاتين السمتين أو العلامتين يشير سيدنا على رضي الله عنه فيقول: « للمرائى علامات : يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم » (٢) .

---

(١) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الأول ، آفة « الإعجاب بالنفس » .

(٢) الأثر أورده الغزالى فى: إحياء علوم الدين ٣/ ٢٩٨ ، والذهبى فى: الكبائر ص ١٤٥ .

٣ـ الحفاظ على محارم اللّه ورعايتها إذا كان مع الناس ، وانتهاك هذه المحارم والتطاول عليها إذا كان وحده أو بعيدا عن الناس ، وإلى هذه السمة أو العلامة يشير النبى ﷺ قائلا : « لأعلمنّ أقواما من أمّتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها اللّه هباء منثورا، أما إنّهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم اللّه انتهكوها »[١] .

رابعًا: آثار الرياء أو السمعة :

وللرياء أو السمعة آثار ضارة ، وعواقب مهلكة ، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى ، وإليك طرفا من هذه الآثار ، وتلك العواقب :

أـ آثار الرياء على العاملين :

فمن آثاره على العاملين:

١ـ الحرمان من الهداية والتوفيق :

ذلك أن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ هو وحده الذى يملك الهداية والتوفيق ، وهو وحده الذى يمنّ بهما على من يشاء، ويمنعهما ممّن يشاء، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، وقد مضت سنّته وجرى قضاؤه أنه لا يمنحهما إلا لمن علم منه الإخلاص، وصدق التوجّه إليه : ﴿وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [الرعد] ، ﴿وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى] . والمرائى أو المسمّع، بدّد هذا الإخلاص، وضيّع ذلك الصدق، فأنّى له الهداية والتوفيق؟ وصدق اللّه الذى يقول : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

[الصف]

٢ـ الضيق أو الاضطراب النفسى :

ذلك أن المرائى أو المسمّع ، إنّما يفعل ما يفعل طلبا لمرضاة الناس وطمعا فيما بأيديهم، وقد يحول قضاء اللّه وقدره دون تحقيق ذلك؛ نظرًا لأن الأمور عنده سبحانه تجرى بالمقادير : ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد] ،وحينئذ يعتريه الضيق والاضطراب النفسى ، فلا هو بالذى ظفر برضا اللّه عزّ وجلّ ، ولا هو بالذى حصّل ما كان يؤمّله

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الذنوب ٢ / ١٤١٨ رقم (٤٢٤٥) كما أورده النبهانى فى: الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ٣/ ٢، والألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٢/ ٨٩٧ رقم (٥٠٢٨) ، وكلهم من حديث ثوبان ﷺ ، مرفوعاً به .

ويرجوه من الناس: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا (١٢٤)﴾ [طه]، ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ﴾ [الجن] .

٣ـ نزع الهيبة من قلوب الناس :

ذلك أن اللّه وحده هو الذى يملك غرس هذه الهيبة فى قلوب من يشاء من عباده، بيد أن ذلك مرهون بتقديم الإخلاص بين يدى كل سلوك أو تصرف، والمرائى أو المسمّع أضاع هذه الرهينة ، فضيّع اللّه عليه الهيبة ، ونزعها من قلوب الناس ، فصار هيّنا عليهم: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] .

ولقد وعى السّلف ذلك ، فكانوا أحرص الناس على إخلاص العمل للّه، حتى تبقى هيبتهم ومكانتهم مستقرّة فى الصدور أو فى القلوب، والأخبار الواردة عنهم فى ذلك أكثر من أن تحصى ، وحسبنا منها ما أوصى به عمر بن الخطاب ﷺ أبا موسى الأشعرى إذ قال له : «من خلصت نيته، كفاه اللّه تعالى ما بينه وبين الناس »[١] .

وما أثر عن الحسن البصرى من كثرة مجاهداته لنفسه بالليل والناس نيام، ثم محاولة إخفاء ذلك عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، حتى هابه ذوو السلطان والجاه .

فقد نال من الحجاج ـ ذات مرّة ـ لظلمه وطغيانه ،فوجه الحجّاج بعض شرطه، وأمرهم أن يأتوه به ليقتله، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن ، فشخصت نحوه الأبصار، ووجفت عليه القلوب ، وأقبل على الحجاج ، وعليه جلال المؤمن، وعزة المسلم ، ووقار الداعية ، فلما رآه الحجاج على حاله هذه هابه أشدّ الهيبة ، وقال له : هاهنا يا أبا سعيد . . . هاهنا . . . ثم ما زال يوسّع له ويقول : هاهنا . . . والناس ينظرون إليه فى دهشة واستغراب ، حتى أجلسه على فراشه ، ولما أخذ الحسن مجلسه التفت إليه الحجاج ، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين ، والحسن يجيبه عن كل مسألة بجنان ثابت ، وبيان ساحر ، وعلم واسع ، فقال له الحجاج : أنت سيّد التابعين يا أبا سعيد ، ثم أذن له بالعودة إلى بيته معززًا مكرما[٢] .

٤ـ الإعراض من الناس وعدم التأثر :

ذلك أن القلب هو محل التأثر من الإنسان ، والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء ، ومن راءى أو سمّع بعمله ، فقد قطع ما بينه وبين اللّه ، وأنى لذلك أن يمنحه

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ٤ / ٣٧٨ .

(٢) صور من حياة التابعين للدكتور : عبد الرحمن الباشا ص ١٧ ـ ٢٢ بتصرف .

اللّه إقبالا من الناس ، أو تأثيرا فيهم ؛ لذا تراه إذا تكلم لا يسمع ، وإذا عمل لا يحرّك ، والحوار التالى يكشف لنا عن حقيقة ذلك بجلاء ووضوح :

كان عمر بن هبيرة الفزارى واليا على العراقين[١] فى عهد الخليفة الأموى: يزيد بن عبد الملك ،وكان يزيد يرسل إليه بالكتاب تلو الكتاب، ويأمره بإنفاذ ما فى هذه الكتب، ولو كان مجافيا للحق أحيانا .فدعا ابن هبيرة كلا من الحسن البصرى، وعامر ابن شراحيل المعروف بالشّعبى ، يستفتيهما فى ذلك، وهل له من مخرج فى دين اللّه ؟ فأجاب الشّعبى جوابا فيه ملاطفة للخليفة، ومسايرة للوالى ، والحسن ساكت فالتفت عمر بن هبيرة إلى الحسن، وقال : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال : يا بن هبيرة ، خف اللّه فى يزيد ، ولا تخف يزيد فى اللّه ، واعلم أن اللّه عزّ وجلّ يمنعك من يزيد، وأن يزيد لا يمنعك من اللّه ... يابن هبيرة، إنّه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ شديد لا يعصى اللّه ما أمر ، فيزيلك عن سريرك هذا ، وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، حيث لا تجد هناك يزيد ، وإنّما تجد عملك الذى خالفت فيه ربّ يزيد ... يابن هبيرة ، إنك إن تك مع اللّه تعالى وفى طاعته يكفك بائقة يزيد بن عبد الملك فى الدنيا والآخرة، وإن تك مع يزيد فى معصية اللّه تعالى ، فإن اللّه يكلك إلى يزيد، واعلم يا بن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوق كائنا من كان فى معصية الخالق ـ عزّ وجلّ.

فبكى عمر بن هبيرة حتى بللت دموعه لحيته ، ومال عن الشعبى إلى الحسن، وبالغ فى إعظامه وإكرامه .

فلما خرجا من عنده توجها إلى المسجد، فاجتمع عليهما الناس،وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع أمير العراقين، فالتفت الشعبى إليهم، وقال : أيها الناس ، من استطاع منكم أن يؤثر اللّه ـ عزّ وجلّ ـ على خلقه فى كل مقام فليفعل ، فوالذى نفسى بيده ، ما قال الحسن لعمر بن هبيرة قولا أجهله ، ولكنى أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة، وأراد فيما قاله وجه اللّه، فأقصانى اللّه من ابن هبيرة وأدناه منه، وحببه إليه [٢] .

٥ـ عدم إتقان العمل :

ذلك أن المرائى أو المسمّع إنما يراقب الخلق لا الخالق، والخلق مهما كانت طاقاتهم

---

(١) الكوفة والبصرة : العراقان . انظر :لسان العرب ١٠/٢٤٨ مادة : « عرق » .

(٢) انظر : أبا نعيم فى حلية الأولياء ٢/١٤٩، ١٥٠، ومن طريقه أورده المزى فى تهذيب الكمال ٦/١١٣، ١١٤، وصور من حياة التابعين ص ٢٣ ـ ٢٧ بتصرف .

وإمكاناتهم، عاجزون عن المتابعة فى كل بيئة وفى كل وقت، وفى كل ظرف أو ملابسة؛ لذا فإن عجزهم هذا ينتهى بالمرائى أو بالمسمّع إلى عدم إتقان العمل ، الأمر الذى يفقده ثقة الناس ويكون بذلك قد ضيع نفسه من حديث أراد مصلحتها أو منفعتها ، وصدق الحق ـ تبارك وتعالى ـ إذ يقول: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِه ﴾ [فاطر: ٤٣] .

ولقد أشار المولى ـ عزّ وجلّ ـ إلى هذا الأثر وهو يتحدث عن المنافقين فقال : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلا(١٤٢) ﴾ [النساء] .

٦ـ الفضيحة فى الدنيا ، وعلى رءوس الأشهاد يوم القيامة :

ذلك أن المرائى أو المسمّع إنما يقصد بعمله هذا خداع غيره ، ليعطيه هذا الغير زمامه ، وليسلم إليه قياده ، ويأبى اللّه ـ عز وجل ـ ذلك نظراً لما يمكن أن يصنعه هذا المرائى أو هذا المسمّع من إفساد فى الأرض وإهلاك للحرث والنسل: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [البقرة] .

لذا فإنه يفضحه فى الدنيا ولو بعد حين، حتى يحذره الناس، ولا يغتروا به . أما فى الآخرة فإن الفضيحة تكون مزيدا من الانتقام والعذاب .

وقد سبق التصريح بهذا السبب فى قول النبى ﷺ : « من سمّع سمّع اللّه به»(١) .

كما جاء التصريح به فى قوله ﷺ لعبد اللّه بن عمرو بن العاص، وقد سأله عن الجهاد والغزو : « يا عبد اللّه بن عمرو ، إن قاتلت صابرا محتسبا، بعثك اللّه صابرا محتسبا ، وإن قاتلت مرائيا مكاثرا ، بعثك اللّه مرائيا مكاثرا، يا عبد اللّه بن عمرو ، على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك اللّه على تيك الحال »(٢) .

٧ـ الوقوع فى غوائل الإعجاب بالنفس ، ثم الغرور، ثم التكبر :

ذلك أن المرائى أو المسمّع يخدع كثيراً من الناس فترة زمنية معينة ، وخلال هذه الفترة تلهج ألسنة الناس وأفئدتهم بحمده والثناء عليه ، وقد يحمله ذلك على الإعجاب بنفسه ، ثم الغرور ثم التكبر، ثم يعيث فى الأرض فسادا ، ويؤكد ذلك ما نشاهده فى

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١١٦ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن : كتاب الجهاد : باب من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا ٣/ ١٤، ١٥ رقم (٢٥١٩) من حديث عبد اللّه بن عمرو ﷺ مرفوعا به .

الوقت الحاضر من أن كثيرا من ذوى القيادة فى أمتنا، يسلكون سبيل الرّياء أو التسميع، حتى إذا انخدع بهم الدهماء والعامّة، وسبحوا بحمدهم، انقلبوا إلى معجبين بأنفسهم، ثم مغرورين ثم متكبرين، ثم سلطوا على الذين يفهمونهم منذ اللحظة الأولى يسومونهم سوء العذاب ، وأخيرا يسلطون على أولئك الذين ضيّعوهم ، فيأكلونهم ، وصدق اللّه العظيم الذى يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾ [إبراهيم] .

٨ ـ بطلان العمل :

ذلك أن الحق ـ سبحانه ـ مضت سنّته فى خلقه ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له ، وابتغى به وجهه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف] .

والمرائى جعل لنفسه وللناس حظا من عمله ، وأنّى لذلك أن يقبل اللّه منه عملا ، أو أن يثيبه عليه، وصدق اللّه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) ﴾ [طه] ، ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان] .

وصدق النبىّ ﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه ؟ قال : « الرياء ، يقول اللّه ـ عزّ وجل ـ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذى كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا : هل تجدون عندهم الجزاء »(١) .

ويقول اللّه تعالى فى الحديث القدسى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى ، فأنا منه برىء، وهو للذى أشرك» (٢).

وهكذا ينتهى الرياء أوالسمعة بصاحبه إلى بطلان العمل وردّه، وعدم قبوله.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى: المسند ٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ من حديث محمود بن لبيد به أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الإيمان : باب ما جاء فى الرياء ١/ ١٠٧ ، وعقب عليه بقوله : « رجاله رجال الصحيح »، وأخرج ابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد: باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٦ رقم (٤٢٠٣) نحوه من حديث أبى سعد بن أبى فضالة الأنصارى وكان من الصحابة ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إذا جمع اللّه الأولين والآخرين يوم القيامة، ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمل له للّه فليطلب ثوابه من عند غير اللّه ، فإن اللّه أغنى الشركاء عن الشرك » .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٥ رقم (٤٢٠٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به ، وأورده البوصيرى فى: مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه : كتاب الزهد : باب الرياء والسمعة ٤ / ٢٣٦ وعقب عليه بقوله : «هذا إسناد صحيح رجاله موثقون، رواه ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى ، ورواه أحمد بن منيع فى مسنده » .

٩ـ العذاب الشديد فى الآخرة :

وأخيرا، فإن من حبط عمله على النحو الذى قدمنا، ليس له من جزاء إلا العذاب الشديد فى الآخرة ، ولذلك العذاب صور، أبرزها صورتان :

الأولى : أنه يكون أول من تسعّر بهم النار، فإن وقودها كما قال اللّه فى كتابه: الناس والحجارة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

[التحريم : ٦]

ويقول النبى ﷺ : « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة: رجل استشهد، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم ، وعلّمه ، وقرأ القرآن، فأتى به ، فعرّفه نعَمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم ، وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ، ليقال : إنك عالم ، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى به فى النار، ورجل وسع اللّه عليه ، وأعطاه من أصناف المال كلّه ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جوّاد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى به فى النار » (١) .

الأخرى : الإلقاء فى النار بحيث تخلع مفاصله وتتفكك أوصاله ، وتسقط أمعاؤه ويدور بها على مشهد ومرأى من أهل النار جميعا .

يقول النبى ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار ، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » (٢).

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الإمارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/ ١٥١٣، ١٥١٤ رقم (١٩٠٥) من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا به، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب من قاتل ليقال فلان جرىء ٦/ ٢٣، ٢٤ رقم (٣١٣٧) بنحوه .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ٤/ ٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ رقم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن يزيد ﷺ مرفوعا به .

ب ـ آثار الرياء على العمل الإسلامى :

وإذا كان للرياء أو للسمعة تلك الآثار التى قدمنا على العاملين ، فإنها بدورها تنعكس على العمل الإسلامى ، وتتلخص هذه الآثار المتعلقة بالعمل الإسلامى فيما يأتى :

طول الطريق ، وكثرة التكاليف :

ذلك أن قوما أخلاقهم الرّياء ، وصفاتهم التسمّع لا يمكن أن يُمكّن لهم إلا بعد طول ابتلاء ، وكثرة تمحيص : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت]. ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التوبة] .

خامساً : طريق علاج الرياء أو السمعة :

هذا ، والطريق لعلاج الرّياء أو السمعة تتلخّص فى :

١ـ تذكر عواقب الرياء أو السمعة الدنيوية والأخروية، على النحو الذى قدمنا آنفا، فإن ذلك له أثر كبير فى تحريك القلوب ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ثم إقلاعها عن هذه الآفة ، أو عن هذا الداء الخطير .

٢ـ الانسلاخ من صحبة المعروفين بالرياء أو بالسّمعة ، ثم الارتماء فى أحضان المخلصين الصادقين ، فإن ذلك له دوره فى إقلاع النفس عن هذه الآفة حتى تبرأ منها تماما .

٣ـ معرفة اللّه ـ عزّ وجلّ ـ حق المعرفة ، فإن هذه المعرفة تعين على تقدير اللّه حق قدره ، الأمر الذى يؤدى إلى التخلص من الرّياء أو السّمعة ، ثم التحلى بالإخلاص ، وسبيل ذلك معايشة الكتاب والسنّة .

٤ـ مجاهدة النفس ، حتى تهذب من الغرائز التى تُملى على الإنسان الرّياء أو السمعة ، والتى من جملتها الرغبة فى الصّدارة أو المنصب ، وكذلك الطمع فيما فى أيدى الناس ، وحبّ الثناء أو المحمدة .

٥ـ رفق ذوى المسئولية فى المحاسبة ، فإن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه، وما نزع من شىء إلا شانه .

٦ـ الالتزام بآداب الإسلام فى المعاملة ، فلا غلوّ فى الاحترام والتقدير، ولا إهمال ولا تقصير ، وإنما هو الأمر الوسط ، وخير الأمور أوساطها .

٧ـ الوقوف على أخبار المرائين ، ومعرفة عواقبهم ، فإن ذلك مما يساعد على تجنب هذا الدّاء ، أو هذه الآفة ، لئلا تكون العاقبة كعاقبة هؤلاء .

٨ ـ دوام النظر أو السّماع للنصوص المرغبة فى الإخلاص ، والمحذّرة من الرياء ، فإنّ بداية الإقلاع عن الأخطاء والالتزام بالصواب تكون بوضوح الرؤية ، ودقة التصوُّر؛ إذ من جهل شيئا عاداه ، كما قال اللّه ـ عزّ وجلّ : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس : ٣٩] .

٩ـ محاسبة النفس أوّلا بأول؛ للوقوف على عيوبها،ثم التخلص من هذه العيوب.

١٠ـ اللجوء التام إلى اللّه ، والاستعانة به، فإن من لجأ إلى اللّه واستعان به، وكان صادقا فى ذلك ، أيّده اللّه ،وأعانه ، وصدق رسول اللّه ﷺ إذ خطب ذات يوم فقال: « أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنّه أخفى من دبيب النمل » ، فقال له من شاء أن يقول: وكيف نتّقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول اللّه ؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»(١) .

١١ـ التذكر بأن كل شىء يجرى فى هذا الكون بقضاء وقدر: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(٢٢)﴾ [الحديد] .

وأن الخلق مهما كانت قوتهم، ومهما كان سلطانهم، فإنهم عاجزون عن أن يجلبوا لأنفسهم نفعا، أو يدفعوا عنها ضرًا، فضلا عن أن يملكوا هذا لغيرهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) ﴾[الأعراف] ، ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية : ١٩] .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٤ /٤٠٣ من حديث أبى علىّ رجل من بنى كاهل قال: خطبنا أبو موسى الأشعرى ، فقال: يا أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقام إليه عبد اللّه بن حزن، وقيس بن المضارب، فقالا : واللّه لتخرجنّ مما قلت، أو لتأتين عمر مأذون لنا أو غير مأذون، قال : بل أخرج مما قلت : . . . خطبنا رسول اللّه ﷺ ذات يوم فقال : « أيها الناس . . . » الحديث ، وأورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب: باب الترهيب من الرياء ، وما يقوله من خاف شيئا منه ١ / ٧٦ وعقّب عليه بقوله : « رواه أحمد والطبرانى ورواته إلى أبى على محتج بهم فى الصحيح، أبو على وثقه ابن حبان ، ولم أر أحدا جرحه ، ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنّه قال فيه: يقول كل يوم ثلاث مرات » .